ان التاريخ يبين بأن فلسطين لم تكن في يوم من الايـــام الوطن الاصلي لليهـــود . والتوراة ملأى بالقصص التي تحكي عن عمليات غزو اليهود للارض الكنعانية . ومنذ تلك الازمنة الغابرة ، اختلط اليهود بالسكان المحليين . وكان الكنعانيون « على درجة أعلى من التطور الاجتماعي . أما القبائل اليهودية المؤلفة من الرحل والرعاة ، والتي كانت في مرحلة التحول الى زراعيين وحرفيين وتجار حضريين ، فقد أخذت تستوعب ثقافة وأشكال العلاقات الاجتماعية لدى الشعب المغلوب على أمره »(٦).

عندما غزا الرومان المملكة اليهودية كان « أكثر من ثلاثة أرباع اليهود يسكنون خارج فلسطين »(٧)، ولم يكن ارتباطهم بالمملكة اليهودية في فلسطين، ليظهر الا اثناء الحج الى القدس لتأدية فرائضهم الدينية .

ولقد ظهر بين اليهود المنتشرين في العديد من أنحاء الامبراطورية الرومانية اتجاهان: اتجاه للانعزال عن السكان الاصليين ، واتجاه للاندماج بهم والتكيف مع الواقع الجديد. ولقد كان اتجاه الانعزال يقوى سواء بفعل عوامل خارجية قسرية ، كاسكان اليهود في الغيتوات مثلا ، أو عن طريق سعي الاوساط الدينية اليهودية المحـــافظة ، للانعزال الذاتي ، أي عزل اليهود « شعب الله المختار » عن بقية السكان ، والركون الى الله ، وذلك خوفا على ضياع « خصوصيات » اليهودي .

ويجب الملاحظة ، بأن ايديولوجيي الصهيونية ، قد اعتمدوا فيما بعد ، على هذا الاتجاه الانعزالي القديم ، في ايجاد « حلهم » للمسألة اليهودية .

ولقد ساعد سقوط أنظمة القرون الوسطي ، وتطور الحريات السياسية في أوروبا ، خاصة بعد اعلان مبادىء الثورة البرجوازية الافرنسية الكبرى ، على تقوية اتجـــاه الاندماج والتكيف ، حيث بدأت الجماهير اليهودية تتحـــرر سياسيا وتنال حقوقهـــا الديمقراطية ، وتنتقل من التحدث بلغتها الى التكلم بلغة الشعوب التي تعيش بينها ، كما كانت تسعى للاندماج في حياة هذه الشعوب الاقتصادية والثقافية .

ومع تطور الرأسمالية ، ازدادت فئة العمال اليهود في صفوف البروليتاريا ، كما ازدادت مشاركتهم في الحركة الاشتراكيـــة الديمقراطية الثوريـــة ، مما أثار قلـــق البرجوازيات الاوروبية السائدة ( خاصة البرجوازية الامبريالية الانكليزية ) ، ودفعها للتعاون مع البرجوازية الكبـــيرة اليهودية ، للعمل سوية علـــى صرف نضال العمال الثوريين اليهود ، وابعادهم عن المساهمة في صفوف الحركة الثورية(٨)، خاصة في روسيا القيصرية .

لقد كان اتجاه الاندماج ، والنضال المشترك في سبيل التحرر الاجتماعي لجماهـــير الكادحين قاطبة ، هو الاتجاه المعبر عن الحل التقدمي للمسألة اليهودية . ولقد حظي هذا الاتجاه على دعم الحركة الثورية العالمية ، وتبناه « كارل ماركس » و« لينين » من بعده .

ان الاساس الثاني للايديولوجية الصهيونية ، هو موضوعة تميز اليهودي عن غيره من البشر بخصوصياته العرقية الفريدة . يقول « ناحوم سوكولوف » : « ليس ثمة أجناس نقية نقاوة مطلقة ، لكن اليهود ، دونما ريب ، أنقى أمـــة بين أمم العالـــم المتمدنة »(٩). ويؤكـــد ايديولوجيو الصهيونية علـــى أن تميز اليهودي بخصوصياته العرقية، هو سبب الحقد الدائم الذي يكنه غير اليهودي له.كما يؤكدون على أن جميع الشعوب التي يعيش اليهود بينها ، هي ذات نزعة لاسامية ظاهرة ام مخفية(١٠).